



## دمعة وابتسامة

وجاءت المفاجأة. جاءت بعد انتهاء المحادثات الرسمية، جاءت بعد المؤتمرات الصحافية، جاءت في اطار غير بروتوكولي، جاءت بشيء من الخجل، لكنها جاءت للمرة الاولى منذ ازمة "ضمانات القروض" عام ١٩٩٢، حين كانت الولايات المتحدة تحاول نهي حكومة ليكودية اخرى عن الاستمرار في تعطيل المفاوضات بواسطة سياسة الاستيطان، ها هي السيدة اولبرايت تحذو حذو جايمس بايكر بعدما تربعت في مقعده. فهل تذهب، كما فعل هو، الى حد الضغط، ولو اللطيف، على الحكومة الليكودية الجديدة؟ من المبكر الجزم بالامر وان يكن يجدر تجنب التفاؤل المفرط من خلال ملاحظة حرص الوزيرة الاميركية على انتظار اللحظة الاخيرة حتى تقول رأيا جديدا في الاستيطان. وكأنها بذلك اردت فقط ترك رسالة وراءها، لا الى الاسرائيليين، فهم وصلتهم رسالتهم منذ اليوم الاول على شكل تضامن صارخ في الهم "الامني" ما لبثت ان كلته دمعة السيدة اولبرايت لدى خروجها من مقام المحرقة النازية، وانما الى الفلسطينيين.

الى هؤلاء تقول اولبرايت: فهمت مخاوفكم، وها انا اطالب بوقف الاستيطان بعدما اعلنت تمسكي باتفاق اوسلو وبمبدأ "الارض مقابل السلام". الا يعني ذلك ان المسار ما زال حيا؟ بلى. لكنه على الأرجح لا يعني اكثر من ذلك. ابقاء المسار حيا. ذاك هو الرهان الاميركي. اما الالتفاف على تعنت بنيامين نتنياهو واعادة تحريك عجلة التسوية الفلسطينية - الاسرائيلية في شكل ناجح، فهذا ليس مطروحا في الوقت الحاضر. ثم من قال ان انجاز السلام الكامل، في فلسطين كما بين اسرائيل وسوريا، ما زال على جدول الاعمال؟

\*\*\*

لنكن جديين لحظة ونضع جانبا من يأكل العصي، فعليا كالفلسطينيين واهالي جنوب لبنان، او مجازاً كمصر وهذا الجزء من اللبنانيين الذي لم يستسلم بعد لواقع التجميد، بل قل التجليد. عدا ذلك، من يريد فعلا العودة الى منطق السلام الدائم؟ قطعاً لا أحد بين "اللاعين الكبار". فجليّ اولاً ان الولايات المتحدة نفسها لم تعد معنية بحل سريع للصراع العربي - الاسرائيلي بدليل هذا الترفع المتعمد، حتى لا نقول الاحتقار، التي عاملت به اولبرايت المنطقة لأشهر بعد تسلمها وزارة الخارجية. وبقينا انها كانت قد تغلبت على نفورها المفترض من نتنياهو وغيظها المفترض ايضا من سوريا لتقويت الفرص السابقة لو كانت ترى مصلحة استراتيجية عليا في انجاز المفاوضات. وفي انتظار ان تعود الاولويات الى ما كانت عليه غداة حرب الخليج، يكاد ينحصر الهم الاميركي في المحافظة على ما تم انجازه قبل عودة "الليكود" الى الحكم في اسرائيل، بما في ذلك بدايات التطبيع الاقتصادي (من قمة الدار البيضاء الى قمة الدوحة)، وفي تفادي اي تصعيد غير مبرمج، أكان ذلك في فلسطين (أعلى الجبهة الاسرائيلية - السورية) (بامتدادها اللبناني).

لم تكن اولبرايت تنوي بالتأكيد زيارة الشرق الاوسط وهو على هذه الدرجة من السخونة. وكانت فضلت على الأرجح الاكتفاء بارسال دنيس روس لو لم تكن حددت قبل ذلك موعد زيارتها. لكن مجيئها في هذه اللحظة تحديدا يساعد على فهم "تواضع" السياسة الاميركية. اما اسرائيل، فحساباتها مكشوفة منذ وصول نتنياهو الى الحكم: على الجبهة الفلسطينية ابقاء الحكم الذاتي في حده الأدنى،



فاذا اضطرت الى تنازل (كما في الخليل) عوّضت عنه بتشديد قبضة الاستيطان؛ وعلى الجبهة السورية تأجيل مشروع التسوية باحلال مبدأ "الامن مقابل السلام" مكان "الارض مقابل السلام" حتى لو تطلب الامر قرقعة سلاح على التخوم اللبنانية لسوريا. وحده جنوب لبنان يشذ، في حسابات نتنياهو، على قاعدة التأجيل.

فهنا مصلحة اسرائيلية واضحة في نقلة نوعية تزيل عن المحتل عبء الاحتلال، وان يكن ضروريا ان نتيقن نحن ان تلك المصلحة الاسرائيلية لم تبلغ بعد، حتى بعد المشاهد المريعة لمكمن انصارية، حد الاولوية الملحة، ما دامت اسرائيل تمتلك خيار نقل الجبهة اللبنانية، والسورية معها، من مرحلة النزف المستديم الى طور التصعيد الذي لا قدرة للبنان عليه ولا لسوريا. في الظاهر، يفترض هذا التهديد الكامن ان تخرج سوريا وحدها بين "اللاعبين الكبار" عن نهج التريث وان تلحظ تاليا مجالا لعرض مفهوم جديد للسلام بين مراسم استقبالها وزيرة الخارجية الاميركية اليوم.

لكن الرئيس الاسد علمنا، في ما علمنا، عدم الاكتراث بالمظاهر، ناهيك برفضه الثنائيات الملزمة: سلام او حرب، حرب او سلام. كلا، في الحساب السوري، واليوم مثل البارحة، ثمة هامش كبير بين الابيض والاسود. ولا يخطئن احد، وخصوصا نتنياهو، فيعتقد ان سوريا سترتدع امام التفوق الاستراتيجي الهائل الذي في حوزة اسرائيل فتتهول للانضمام الى نهج الاذعان! ومن اعتقد ذلك فانه لم يفقه شيئا في السياسة السورية منذ ربع قرن.

\*\*\*

لا يعني ذلك ان محطة اولبرايت الدمشقية اليوم محكومة بالفشل وانها لن تؤدي الى معاودة المفاوضات بين سوريا واسرائيل، كما يشاع منذ اسابيع. ثم ماذا؟ ألم تعطنا التجربة الماضية برهانا ناصعا على كيفية تحويل مسيرة السلام مراوحة؟ لنفترض حتى ان نتنياهو اذعن، هو، لصلابة الموقف السوري ولضغط اميركي مرتجى، فعاد وقبل ما كان وافق عليه اسحق رابين. ما الذي سيحصل في اعتقادكم؟ اعلان مبادئ، ورقة عمل، مسودة ورقة عمل؟ لا شيء، والا لما كنا اضعنا سنتين.

تذكروا صيف ١٩٩٥، وتذكروه في ضوء ما بتنا نعرفه منذ اعلن الرئيس الاسد نفسه ان رابين انتهى بالموافقة على البحث في انسحاب اسرائيل من الجولان حتى خط ٤ حزيران ١٩٦٧. يومئذ، كانت آفاق "الشرق الاوسط الجديد" مفتوحة لاحتمالات الضغط العربي الذكي: سلام مقابل الارض المستعادة، تطبيع اقتصادي مقابل انحسار الغلبة الاستراتيجية الاسرائيلية. وضاعت الفرصة. لا، لم تضع.

اليس الهدف من المفاوضات هو... المفاوضات؟ اليس الاميركيون هم الذين يرددون ان سر السلام في مسيرته؟ لم يفهمها أحد أكثر من الرئيس الاسد. رجال الاعمال في سوريا اعتقدوا غير ذلك، في تحرقهم الى انفتاح جديد، ومعلن هذه المرة؟ ليست المرة الاولى التي يخطئون فيها. الفلسطينيون أملوا في تعميم لمسيرة السلام يخفف من حدة المواجهة، وان تكن سلمية، بينهم وبين الاسرائيليين؟ من قال ان القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي - الاسرائيلي؟ لبنان أمل في "تطبيع" لوضعه؟ لبنان، شو يعني؟ أما بعد، فماذا سنقول للسيدة اولبرايت اليوم، وربما غدا؟ طبعا ان السلام خيار استراتيجي. وهي، عندئذ، ستبتسم، ويسدل الستار والى اللقاء في المرة المقبلة.

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>97-Pr-000286</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		دمعة وابتسامة
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		الجمعة ١٢/٩/١٩٩٧ 12/9/1997
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	اولبرايت - بنيامين نتنياهو - اسحق رابين - جايمس بايكر - دينيس روس - حافظ اسد
	<b>Locations</b>	شرق اوسط - فلسطين - لبنان - سوريا - مصر - اسرائيل - اميركا
	<b>Dates</b>	١٩٩٥ - ١٩٩٢ - ١٩٦٧ - ١٩٩٥
	<b>Themes</b>	شرق اوسط - عرب - اوسلو اتفاق - اولبرايت - مفاوضات عربية اسرائيلية - تسوية فلسطينية اسرائيلية - جنوب لبنان - صراع عربي اسرائيلي - شرق اوسط - حرب خليج - قمة دار البيضاء - قمة دوحة - مفاوضات سورية اسرائيلية - سلام مقابل ارض
<b>Subject</b>		